لبنانيون نازحون يروون كابوس حرب جديدة فُرضت عليهم

بيروت- أ.ف.ب- غادرت زينب المقداد منزلها في الضاحية الجنوبية لبيروت على عجل هربا من القصف الإسرائيلي، وقضت ليلة كاملة مشردة مع ابنتها المريضة على الشاطئ، وتروي من مركز إيواء لجأت إليه في شمال بيروت "كابوس" حرب "فرضت علينا".

وتقول المقداد (50 عاما) لوكالة فرانس برس: "هذا الكابوس صعب، أن يكون الإنسان في بيته آمنا ثم يضطر فجأة للهرب.. التهجير صعب، أمر لا يشعر به إلا من يعيشه".

وتروي أنها كانت تحضر مائدة السحور فجر الإثنين حينما بدأت الغارات الإسرائيلية. وتضيف: "حرب فرضت علينا.. لا نستطيع أن نفعل شيئا".

والمقداد هي من بين أكثر 95 ألف لبناني لجأوا إلى مراكز إيواء أنشأتها السلطات منذ بدء التصعيد الإثنين بين "حزب اللّه" وإسرائيل التي تواصل شن غارات واسعة على جنوب لبنان وشرقه وعلى الضاحية الجنوبية لبيروت وأصدرت إنذارات إخلاء تشمل مناطق واسعة.

وتتابع وقد جلست على الأرض فيما اتكأت ابنتها المريضة على كتفها: "كان يجب أن يؤمنوا شعبهم قبل أن تبدأ الحرب.. لا أن يترك الناس هكذا ليتدبروا أمرهم بأنفسهم".

وعلى غرار كثر، تؤكد المقداد توقها للعيش "بسلام، كفى حروبا، نريد فقط أن نعيش، لكن إسرائيل غدارة ولا تتركنا في أمان".

في غرف واسعة لا تتوفر فيها أبسط الاحتياجات الاساسية، جلست نساء وأطفال متقاربين وقد افترش بعضهم بطانيات رقيقة أو قطع قماش بسيطة، بينما اكتفى آخرون بالأرض الباردة، وقد بدت ملامح التعب والقلق على الوجوه.

ومع ارتفاع أعداد النازحين، حذر رئيس الوزراء اللبناني أمس الجمعة من "كارثة إنسانية وشيكة".

وقال "إنهم ضحايا الحرب الإسرائيلية على لبنان، وكذلك ضحايا من قدموا الذريعة للعدوان الإسرائيلي"، في إشارة إلى "حزب اللّه" الذي أطلق صواريخ باتجاه إسرائيل في وقت مبكر من صباح الإثنين.

"ماذا استفدنا؟"

وبخلاف الحرب السابقة، تغير المزاج العام للنازحين الذين سئموا من تكرار تجربة النزوح خلال أقل من عامين، بينما خلت كلماتهم هذه المرة من التأييد المطلق لـ "حزب اللّه".

ووجد كثر أنفسهم بدون سند أو مساعدة في غالب الأحيان من الدولة أو من "حزب اللّه" الذي كان يقدم دعما ماليا ويؤمن إيواء النازحين خلال الحروب السابقة.

لكن الحزب خرج أكثر ضعفا من الحرب الأخيرة، وخسر عددا كبيرا من قياديه ومن ترسانته، ولم يعد لديه طريق إمداد من سوريا بعد سقوط بشار الأسد، كما جفت مصادر تمويله.

في مركز الإيواء، تردد كثر بالتعبير عن رأيهم أمام عدسات الكاميرا، لكن شعور الاستياء والإحباط كان طاغيا.

ردا على مقتل المرشد الأعلى في إيران على خامنئي بهجوم أميركي إسرائيلي، أطلق "حزب اللّه" صواريخ باتجاه إسرائيل التي ردت بغارات كثيفة واسعة النطاق.

ومنذ اللحظات الأولى التي تلت إطلاق الصواريخ من لبنان، عبر كثر على مواقع التواصل الاجتماعي عن استيائهم من إقدام "حزب اللّه" على ذلك، حتى إن بعض مناصري الحزب شككوا في الساعات الأولى في أن يكون هو خلفها.

لا تتردد هيام (53 عاما) التي فرت من الضاحية الجنوبية في الليلة الأولى من القصف، عن التعبير عن إحباطها لما آلت إليه الأمور بينما تقضي أيامها في المعهد المهني مع العشرات في غرفة واحدة بدون خصوصية.

تقول المرأة التي فضلت عدم إعطاء اسمها كاملا: "إلى متى هذا كله وهذا الوجع كله؟ ما نهايته؟ لا معنى لكل هذا.. من الأساس الحرب حتى الآن ما كان المغزى منها؟ ما النتيجة؟".

تضيف "نحن متروكون.. تتكرر القصة نفسها.. لكن من يسأل عن هذا الشعب؟ من سيهتم بهم؟ من سيطعمهم؟ من سيسقيهم؟ من سيعطيهم المال؟ لم نر مسؤولا واحدا، لم يطرق بابنا أحد".

وتسأل غاضبة: "ماذا استفدنا من الحرب؟".

"كابوس"

في غرفة مجاورة وبينما انشغلت نسوة في إعداد طعام الإفطار بما توفر، اتكأت لبنى سعد (42 عاما) على جدار بارد وروت كيف فرت خلال الليل من بلدتها بنت جبيل القريبة من الحدود وبقيت طوال الليل على الطريق بينما كان القصف قد بدأ.

وتقول وهي تجهش بالبكاء: "لم أكن أعتقد أن هذا الأمر سوف يتكرر. اعتقدت أننا عدنا إلى بيوتنا وانتهى الأمر. كنت دائما أدعو اللّه ألا يتكرر ما عشناه، لكن للأسف عاد وتكرر".

من الحديقة الخارجية للمعهد المهني حيث جلست مع عائلتها، تقول نهاد أركان (33 عاما) وهي مدرسة لغة عربية، قضت ليلة كاملة على الطريق بعد أن نزحت من الجنوب: "شعوري بشع جدا، لا يوصف. أشعر وكأن ما يحدث كابوس، وأتمنى أن أستيقظ منه. المعاناة كبيرة جدا".

وتضيف وقد بدت ملامح الصدمة والتعب على وجهها: "برأيي لم يكن هناك أي داع لعودة هذه الحرب، وقد جاءت في وقت خاطئ جدا".

لكن آخرين قالوا إن الحرب لم تنته أصلا، فقد واصلت اسرائيل قصف ما تقول إنها منشآت لحزب اللّه وعناصر في الحزب، كما أبقت على جنودها في خمس نقاط في المنطقة الحدودية.

يقول عامل البناء محمد علي تقي (50 عاما) الذي نزح من بلدة مركبا الحدودية: "كل ما نريده هو أن تتحسن الأوضاع ونعود إلى بيوتنا ونعيش بسلام، لكن العدو لا يرحم".

ويضيف: "توقعنا أن تحصل الحرب، لأننا نعيش دائما تحت هذا التهديد".

أهالي بعض قرى جنوب لبنان يرفضون النزوح

ويعيش أبناء قرية علما الشعب الحدودية في جنوب لبنان على وقع الغارات الإسرائيلية، مفضلين الاحتماء في قبو كنيسة القرية على النزوح على الرغم من الإنذارات المتكررة.

ويقول شادي صياح، رئيس بلدية القرية: "حقنا أن نبقى في أرضنا .. نحن مسالمون. لا نشكل خطرا على أحد"، فيما يملأ دوي الانفجارات المتقاربة المكان.

ودمر القصف والغارات الإسرائيلية العديد من القرى الجنوبية التي تنتشر فيها المزارع ويكسوها الخضار، أثناء الحرب السابقة عام 2024، ما أجبر الكثير من سكانها للفرار، ولم يتمكنوا من العودة إليها.

ومع الهجمات الأخيرة، خلت عدة قرى تقريبا من السكان. وبقي نحو مئة من السكان في علما الشعب التي تقع مباشرة على الحدود، وهي واحدة من القرى المسيحية في جنوب لبنان التي تحاول البقاء بمنأى عن المواجهة، كما يقول رئيس بلديتها.

وإلى الشرق منها، في مدينة مرجعيون وقرية القليعة المجاورة لها، قرر المئات من اللبنانيين البقاء في أرضهم، مثلما فعلوا خلال الحرب السابقة.

ويقول أحد سكان مرجعيون لوكالة فرانس برس: "لدينا خبز ولكن اشترت زوجتي طحينا" تحسبا لحدوث نقص.

"سنموت هنا"

وحتى الأسبوع الماضي، كان يسكن علما الشعب نحو 250 شخصا، بقي منهم 96 شخصا، بينهم نساء وأطفال وكبار في السن، رفضوا المغادرة رغم كثافة القصف.

ويقول فادي حداد البالغ 43 عاما: "نريد أن نعيش بسلام على أرضنا.. نحن باقون هنا لأننا نحب أرضنا.. لقد نشأنا هنا وسنموت هنا".

وبقيت القرى ذات الغالبية المسيحية في جنوب لبنان بمنأى نسبيا عن القصف الإسرائيلي خلال حرب عام 2024 وكذلك الحرب الحالية.

غير أن رئيس البلدية يقول إن القرية تحولت إلى "ساحة حرب" عندما كانت في الوسط أثناء تبادل القصف بين حزب اللّه وإسرائيل.

وانسحب الجيش اللبناني من بالقرية الثلاثاء مع بدء التوغل البري لجيش الاحتلال الإسرائيلي.

وقال مصدر في قوة الأمم المتحدة المؤقتة في جنوب لبنان (يونيفيل) لفرانس برس إن "القوات الإسرائيلية تدخل إلى القرى وتخرج منها".

ويؤكد صياح لفرانس برس: "نحن نعاني من الصدمة بسبب ما مررنا به عام 2024" حين اضطر الأهالي لمغادرة قريتهم. ولذلك، يضيف "سنبقى مهما كانت النتيجة". لكنه يضيف أنه رغم ذلك "خائف. أرتجف من الخوف".

ويتساءل: "ما الذي سيذكره التاريخ؟ أن 96 مجنونا ظلوا في علما الشعب متشبثين بأرضهم؟".

سلاح الجو الإسرائيلي يثبت قدراته المتفوقة في الحرب على إيران

تل أبيب- أ.ف.ب- ضرب سلاح الجو الإسرائيلي أهدافا في العمق الإيراني بدقة كبيرة وقتل المرشد الأعلى خلال دقائق من اندلاع الحرب، مستفيدا من مهارات طياريه ومن خبرة قتالية اكتسبها على مر السنين.

وأكدت ساره- ماشا فاينبرغ كبيرة الباحثين في سلاح الجو والفضاء في جامعة تل أبيب في تصريحات لوكالة فرانس برس أن "هؤلاء الطيارين يحصلون على أفضل تدريب في العالم أجمع".

وأشارت إلى أنه "بالنظر إلى التجربة على مستوى العمليات وعدد ساعات التدريب للطيارين في العالم، تحتل إسرائيل المرتبة الأولى مع الولايات المتحدة برأيي وينعكس ذلك بوضوح في نجاح هذه العملية".

وقصف سلاح الجو الإسرائيلي الذي يشغل حوالي 320 مقاتلة أهدافا في الأراضي الإيرانية بلا حسيب.

وتستند هذه العملية إلى سنوات من الخبرة المكتسبة خلال العمليات القتالية في غزة ولبنان وحتى اليمن، وخصوصا منذ اندلاع الحرب على قطاع غزة في السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023.

وفي إيران، استفيد من هذه المهارات على نحو غير مسبوق. والسبت في اليوم الأول من العملية العسكرية ضد إيران، قصفت مقاتلات إسرائيلية قيل إن الاستخبارات الأميركية وجهت مسارها وأهدافها المجمع الذي كان المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي فيه، مودية بحياته وحياة مسؤولين كبار آخرين.

وقال رئيس هيئة أركان جيش الاحتلال الإسرائيلي إيال زامير الخميس: "في خلال 40 ثانية لا غير، تم القضاء على حوالي 40 مسؤولا رفيعا في نظام الإرهاب الإيراني، بمن فيهم قائد النظام علي خامنئي".

وأضاف: "حتى الساعة، نفذ طيارو سلاح الجو 2500 ضربة مع أكثر من 6 آلاف ذخيرة.. في خلال 24 ساعة، فتح طياروننا السبيل إلى طهران".

وأشارت فاينبرغ إلى أن تفوق سلاح الجو الإسرائيلي على إيران هو ثمرة "20 سنة من الاستعداد على صعيد السيناريوهات النظرية والعمليات".

وقد بنت إسرائيل أمنها القومي على عقيدة "الدفاع الهجومي" نظرا لصغر مساحتها، معولة على ضربات استباقية طويلة المدى، حسب فاينبرغ.

ولا تتمحور العقيدة على التفوق في مجال الجو فحسب بل تتخطاه إلى السيادة على الأجواء، أي أنها لا تريد أن يكون لها الغلبة فحسب في الأجواء بل أيضا السيطرة الكاملة على المجال الجوي.

"الأفضل يصبحون طيارين"

ويعزو المؤرخ العسكري داني أورباش تطور هذه العقيدة إلى قررات اتخذت في الستينيات.

فقد خلصت إسرائيل التي تضم عددا صغيرا من السكان والمحاطة بجيران معادين لها إلى أنها لن توازي أعداءها في أعداد الجنود أو الدبابات.

وكشف الأستاذ المحاضر في الجامعة العبرية أن إسرائيل "قررت استثمار موارد غير متكافئة في سلاحها الجوي"، على حساب مجالات أخرى في أحيان كثيرة. وأشار: "كانت بحاجة إلى قدرات أعلى .. فاتخذ قرار الاستثمار في سلاح الجو".

وعززت الاستراتيجية بدفع من مساعدات عسكرية أميركية بمليارات الدولارات وبالانتفاع أيضا من التكنولوجيا الأميركية الأكثر تطورا التي أتيحت لإسرائيل.

وساد شعار "الأفضل يصبحون طيارين" في الستينيات لتشجيع خيرة المجندين على الالتحاق بسلاح الجو.

وتعزى أيضا القدرات العالية لسلاح الجو الإسرائيلي إلى الثقافة العسكرية في الدولة العبرية، على ما قال أورباش.

وأوضح أن سلاح الجو المنتفع من استثمارات طائلة يتطلب التحلي بمهارات "القيادة لدى تنفيذ المهمات" يخول في إطارها الضباط الصغار من اتخاذ قرارات سريعة ومستقلة لتحقيق الأهداف، وهو هامش حرية لا يتمتع به في أغلب الأحيان طيارون في قوات مسلحة أخرى في الشرق الأوسط يخضعون لتراتبية محددة في إصدار الأوامر.

تعاون وثيق مع الولايات المتحدة

ومن الدعامات الأخرى للنجاح الإسرائيلي في هذا المجال في نظر فاينبرغ، الاندماج العملياتي مع الولايات المتحدة.

وصرحت الباحثة: "هذه حرب تشن بالإنجليزية"، مشيرة إلى أن العملية الأميركية الإسرائيلية المشتركة ضد إيران هي حملة جوية مع "توزيع" واضح للمهام.

وللمرة الأولى، استفادت إسرائيل في هذه الحرب من القدرات الأميركية على إعادة التزود بالوقود في الجو، ما سمح لها بحسب فاينبرغ بإطلاق 6 آلاف مقذوفة على مسافة بعيدة، وفقا للبيانات العسكرية الإسرائيلية التي نشرت الخميس.

كما استفادت هذه الحملة من سنوات من تجميع معلومات استخباراتية وتنفيذ عمليات سرية لتحديد الأهداف، على ما قال شلومو موفاز مدير مركز مئير عميت للمعلومات حول الاستخبارات والإرهاب.

دفاعات جوية ضعيفة في إيران

ومن العوامل الأخرى التي عززت التفوق الإسرائيلي في هذا الهجوم تراجع القدرات الإيرانية.

فلسنوات طويلة، كان سلاح الجو في ايران ضعيفا. وتسببت المواجهات مع إسرائيل في نيسان/أبريل وتشرين الأول/أكتوبر 2024 وحزيران/يونيو 2025 في تدهور الدفاعات الجوية المحدودة أصلا.

وقد "تخلت" روسيا والصين اللتان لطالما زودتا إيران بأنظمة دفاع جوية عن حليفتهما، على حد قول فاينبرغ، ما ترك طهران عاجزة عن تجديد أنظمتها التي تعرضت لأضرار.

كما إن الدفاعات الجوية الإيرانية قيدت بفعل عمليات استخباراتية إسرائيلية سيبرانية وعمليات تشويش، بالاستناد إلى أدوات متقدمة طورت في إطار تعاون وثيق بين شركات التكنولوجيا والجيش في إسرائيل، بحسب أورباش.

وما زال لدى إيران مخزون كبير من الصواريخ البالستية والمسيرات، غير أن قدراتها على المقارعة في الأجواء انهارت، حسب فاينبرغ التي اعتبرت أن "النجاح على مستوى العمليات" الذي حققته إسرائيل "فاق حتى كل ما كنا نتطلع إليه".